استخدام النقوش الكتابية كمصدر لتاريخ مدن غرب الأندلس في العصر الإسلامي

Using Inscriptians to learn about the history of the cities west of Andalusia during the Islamic Era

سحر السيد عبد العزيز سالم

Abstract

Inscriptions are considered to be the most important source of information in Islamic history. Historians depend on inscriptions and original documents when dating events, because those inscriptions are neutral and non-biased. They are also contemporary witnesses to those events that they record.

This research is dealing with some inscriptions of 5 cities in the West of Andalusia; Badajoz, Merida, Caceres, Trujillo, and Reina. One of those inscriptions has corrected a title of a very distinguished person; others has filled in the gaps of some historical events, which were not mentioned in the sources. In addition, they mentioned some people who played a major role, whether politically or scientifically, in the society of this part of Andalusia.

مقدمة

تعد النقوش الكتابية الأثرية من أهم مصادر التاريخ الإسلامي وهي تلي في أهميتها الوثائق السياسية، لأن الكتابات الأثرية والنقوش المسجلة على الآثار، وثائق أصلية يستند عليها المؤرخ عند تأريخه للحوادث،[١] وهي محايدة وغير مغرضة ومعاصرة للأحداث التي تسجلها ولم تشوهها الروايات والنقول.[٢]

يعتمد الباحثون في التاريخ الإسلامي على النقوش الكتابية في كثير من الأحيان للتوصل إلى حقائق تاريخية جديدة لم تُذكر في المصادر المكتوبة، أو لتصحيح الكثير من الأخطاء التاريخية التي وقع فيها الإخباريون في العصر الإسلامي.

ويستقي المؤرخون من النقوش الأثرية مادة تاريخية سياسية فضلاً عن الإشارات الحضارية العامة التي يمكن أن يستنتجها الباحث منها؛[٣] ولذا فقد اهتم المستشرقون بالنقوش العربية فألفوا فيها الكتب والتواليف ومن أشهرهم ماكس فان برشم Max Van Berchem، وإدموند فاتيو Edmond Fatio، وجاستون فييت Gaston Wiet، وليفي بروفنسال Levi Provençal، وجان سوفاجيه Jean Sauvaget، وأمادور دي لوس ريوس Amador De Los Rios، ومانويل أوكانيه خيمينيث M. Ocana Jimenez.[٤]

وقد أفدنا كثيرًا من النقوش الكتابية أثناء تأريخنا لمدينة بطليوس ومدن غرب الأندلس في العصر الإسلامي، وساعدتنا بعض هذه النقوش الكتابية على التوصل إلى حقائق

جديدة عن مدن هذا الإقليم، وعلى تصحيح بعض الآراء التاريخية السائدة والشائعة لدى بعض المؤرخين الإسبان، وأيضًا على حسم بعض القضايا التاريخية والأثرية.

وسنتعرض خلال هذا البحث لبعض النقوش الكتابية في خمس مدن في غرب الأندلس هي بطليوس Badajoz، وماردة Merida، وقاصرش Caceres، وترجالة Trujillo، ورينة Reina، حيث كان لأحد هذه النقوش الفضل في تصحيح لقب إحدى الشخصيات الهامة ولبعضها الآخر الفضل في سد فجوات أحداث تاريخية لم ترد في المصادر، وإلى جانب ذلك فقد أشارت هذه النقوش إلى بعض الشخصيات التي لعبت دورًا سياسيًّا، أو جهاديًّا، أو علميًّا في هذا الجزء الغربي من شبه الجزيرة الإيبيرية.

ولم تكن بطليوس في فترات طويلة من تاريخها الإسلامي مجرد مدينة تخضع للحكومة المركزية في قرطبة Cordoba، وإنما ظهرت كإمارة مستقلة على أيام الأمير محمد بن عبد الرحمن الأوسط في سنة ٢٦١هـ/٨٧٤م عندما أعاد بناءها الثائر عبد الرحمن بن مروان الجليقي، ومصّرها على أنقاض المدينة القديمة المندثرة هناك في ذلك العام، فوق مرتفع يعرف باسم مرتفع الضرس،[٥] وظلت إمارة الجليقي على استقلالها حتى استنزلها الخليفة عبد الرحمن الناصر في سنة ٣١٨هـ/٩٣٠م، ثم ظهرت بطليوس كمملكة شملت جميع مدن غرب الأندلس، لها حدودها مع الممالك المسيحية، وجاراتها الإسلامية في عصر الطوائف، وقد حكمها سابور العامري ثم بنو الأفطس[٦] في الفترة من سنة ٤٠٣هـ/١٠١٢م حتى ٤٨٨هـ/١٠٩٥م عندما اجتاحتها قوات المرابطين. وعادت للظهور مرة أخرى كإمارة صغيرة حكمها ابن الحجام لأشهر معدودة في الفترة ما بين نهاية عصر دولة المرابطين[٧] وبداية ظهور الموحدين. ولعبت بطليوس في كل الأحوال كمدينة وكقاعدة لإمارة مستقلة، أو كحاضرة لمملكة، أو تحت الحكم المرابطي والموحدي، دورًا هامّا وخطيرًا في التاريخ السياسي للأندلس. واعتبرت ثغرًا للمجاهدين وقاعدة عسكرية هامة في عصر دولتي المرابطين والموحدين. وانطلقت منها القوات الإسلامية المجاهدة لمواجهة أخطار كل من الليونيين والبرتغاليين حتى سقوطها في أيدي الليونيين سنة ٦٢٧هـ/١٢٣٠م.

وتعد كل من ماردة، وقاصرش، وترجالة، ورينة من أهم مدن بطليوس كإقليم. وفيما يتعلق بمدينة ماردة فقد كانت تعد حاضرة إقليم غرب الأندلس كله في الفترة السابقة على إعادة بناء بطليوس القديمة في العصر الإسلامي في سنة ٢٦١هـ، ولكن ما إن مصّر الثائر المولد عبد الرحمن بن مروان الجليقي بطليوس، حتى انتزعت هذه المدينة الممصرة حديثًا، المكانة السياسية التي كانت تحظى بها ماردة في هذا القسم الغربي من البلاد. وكانت ماردة تعد من أكثر مراكز الحضارة اللاتينية في إسبانيا تألقًا في العصر الروماني،[٨] كما كانت من أكثر مدن الأندلس التي استعصت على موسى بن نصير عند فتحه لغرب إيبيريا فقاومته بشدة، ولم تستسلم بسهولة إلا بعد أن عقد مع أهلها معاهدة تعهد لهم بمقتضاها أن يحتفظوا بدينهم وكنائسهم، حيث كانت ماردة قبل الفتح الإسلامي كرسيًّا أسقفيًّا إسبانيًّا هامًّا، وظلت تحتفظ بكرسيها الديني هذا حتى العصر الأموي،[٩] عندما انتقل مركز الصدارة الأسقفي إلى بطليوس التي كان مؤسسها الثائر عبد الرحمن الجليقي حريصًا على أن ترث حاضرته بطليوس الزعامة السياسية والكنسية أيضًا، وهكذا أصبحت ماردة في غرب الأندلس منذ ذلك التاريخ تابعة لبطليوس. وكانت ماردة موطنًا للمولدين، والمستعربين، والبربر، ولذا فقد كانت مركزًا لثورات هذه العناصر السكانية الناقمة على الحكم الأموي العربي في عصر الإمارة الأموية. ومن أبرز زعمائها الثوار أصبغ ابن عبد الله بن وانسوس البربري (١٩٠هـ/٨٠٥م)، ومحمود بن عبد الجبار المصمودي البربري، وسليمان بن مرتين المولد (٢١٣هـ/ ٨٢٩م)،

ومروان بن يونس الجليقي المولد وولده عبد الرحمن الذي أعاد بناء بطليوس القديمة ومصّرها لتصبح هي الحاضرة الجديدة لإقليم غرب الأندلس كله بدلاً من[١٠] ماردة كما سبق أن أشرنا.

أما عن مدينة قاصرش فقد كانت من أهم مدن وحصون مملكة بني الأفطس في بطليوس في عصر الطوائف، كما كانت ملتقى هامًّا للطرق. وأصبحت في زمن الإدريسي 'محرسًا منيعًا مشحونًا بالخيل والرجال للمغاورة في بلاد الروم'[١١] على حد تعبيره. ولم تحظ بأهمية عسكرية إلا منذ منتصف القرن السادس الهجري عندما أنشئ سورها القوي الذي أقيم على أسس ضخمة. وقد وصل إلينا هذا السور سليمًا في معظم أجزائه. وتردد اسم قاصرش في المعارك التي دارت في إقليم غرب الأندلس أثناء الصراع الإسلامي البرتغالي هناك وأصبحت قاصرش مركزًا استراتيجيًّا حربيًّا إسلاميًّا موحديًّا آنذاك.[١٢]

وكانت مدينة ترجالة منزلاً لقبائل نفزة من البربر، وظهر اسمها مع ماردة بين المدن التي خضعت لعبد الرحمن الناصر فقد أورد ابن حيان أن الناصر قد ولى عليها في سنة ٣١٥هـ أحمد بن سكن،[١٣] وذلك قبل نجاحه في إخضاع بطليوس سنة ٣١٨هـ، رغم تبعية ترجالة إلى إمارة عبد الرحمن بن مروان الجليقي مؤسس إمارة بطليوس. وقد طالعنا اسم ترجالة كأحد الحصون الأمامية لبطليوس لاسيما في عصري المرابطين والموحدين. وتحدثت المصادر عن أسوارها المنيعة وأسواقها التجارية.[١٤] وقد تعرضت هي وقاصرش لهجمات الفارس البرتغالي جراندة فقد استولى عليها سنة ٥٦٠هـ/١١٦٤م وعلى قاصرش سنة ٥٦١هـ/١١٦٥م وعلى بعض الحصون الأندلسية الغربية الأخرى، بهدف تجريد بطليوس من أهم خطوطها الدفاعية الأمامية ليتمكن من الوصول إليها بعد ذلك.[١٥]

غير أن الموحدين ما لبثوا أن استردوها في الفترة ما بين عامي ٥٨٠هـ و٥٨٥هـ /١١٨٤–١١٨٩م،[١٦] وسقطت هذه المدينة الحصينة نهائيًّا سنة ٦٣٠هـ/١٢٣٢م ولم يتبق من القلعة الإسلامية بها سوى آثار الجب.[١٧]

أما مدينة رينة التي تقع في الطريق بين بطليوس وإشبيلية على حافة هضبة شديدة الارتفاع والاتساع؛[١٨] فقد اشتهرت بقصبتها المنيعة التي تقوم على[١٩] قمة المرتفع بحيث تشرف تمامًا على المدينة. وقد اعتبرت من الحصون الأمامية لمدينة بطليوس لاسيما في العصر الموحدي. وقد أسس الموحدون حولها سورًا حصينًا ولكنه لا يصل إلى عظمة سور قصبة بطليوس.

أولاً: أهم النقوش الكتابية في مدينة بطليوس

١ – نقش شاهد قبر سابور العامري حاكم بطليوس في أواخر عصر الخلافة الأموية:

أشرنا في الصفحات السابقة إلى سابور الذي كان أحد صبيان فائق، فتى الحَكَم المستنصر بالله الخليفة الأموي،[٢٠] ثم أصبح بعد ذلك من فتيان المنصور محمد بن أبي عامر بعد أن تألق وبرز بين فتيانه الصقالبة.

ويعتقد مارتينث إي مارتينث Martinez y Martinez أن الخليفة الحكم المستنصر قد عهد إلى سابور بحكم بطليوس وإقليمها، ويرى أن المنصور بن أبي عامر هو الذي أوحى إلى الخليفة بذلك من خلال علاقته الوثيقة بالسيدة صبح البشكنسية أم ولد الخليفة الحكم، وذلك مكافأة لجهود سابور في الظاهر، ولإبعاده عن المسرح السياسي في قرطبة في الواقع.[٢١]

ونتفق مع هذا الرأي استنادًا إلى النص الذي أورده ابن عذارى ومفاده أن سابور كان زمن الجماعة وفي عهد الحكم المستنصر بالله على وجه الخصوص مقيمًا بالغرب الأندلسي 'وكان بهذا الصقع بطليوس، وشنترين، والأشبونة، وجميع الثغر الجوفي في أمد

الجماعة رجل من عبيد الحكم المستنصر بالله يسمى سابور'. [٢٢]

وتصمت المصادر العربية خلال الفترة التي أصبح فيها المنصور بن أبي عامر الحاكم الفعلي والمطلق في الأندلس، عن ذكر سابور الذي نرجح أنه واصل القيام بأعباء منصبه عاملاً على غرب الأندلس بدليل أننا نطالع اسمه من جديد بعد سقوط الخلافة الأموية واندلاع الفتنة، بين أسماء ولاة الأقاليم والقادة والرؤساء الذين أعلنوا في النواحي استقلالهم إذ يقول ابن عذارى في ذلك 'وقعت الفتنة وتفرقت الجماعة وانشقت عصا الأمة انتزى سابور المذكور على ما كان بيده كما فعل غيره من الثوار ....'. [٢٣]

ونرجح أنه كان من الشخصيات القوية في الغرب بحيث إنه تمكن من السيطرة على عدد من المدن الكبرى، ونجح في أن يجنب هذا الجزء الغربي من الأندلس نيران الفتنة التي اصطلت بها قرطبة وجاراتها في جنوب شرق الأندلس في غرناطة، والمرية Almeria، ورندة Randa، ومالقة Malaga، واستعان سابور بأبي محمد عبد الله بن محمد بن مسلمة الملقب بابن الأفطس ليعمل وزيرًا لديه لتدبير شئون الدولة، حتى وفاته. [٢٤]

ولكن تبقى أمامنا إشكاليتان فيما يتعلق بفترة حكم سابور العامري لبطليوس، أولاهما تتركز حول اللقب الذي تلقب به سابور حيث انفرد ابن الأثير بذكر خبر في أحداث سنة ٤٣١هـ/١٠٣٩م نصه 'وأما بطليوس فقام بها سابور الفتى العامري وتلقب بالمنصور ثم انتقلت بعده إلى أبي بكر محمد بن عبد الله بن مسلمة المعروف بابن الأفطس...'. [٢٥] ويعد ابن الأثير هو المؤرخ الوحيد الذي نسب لقب المنصور إلى سابور حيث لقب في المصادر بالعامري فحسب.

أما ثاني هذه الإشكاليات فتتعلق بتحديد مدة استقلال سابور ببطليوس والثغر الجوفي بدقة، حيث لم تحدد المصادر العربية السنة التي أعلن فيها سابور استقلاله ببطليوس.

غير أننا بالرجوع إلى شاهد قبر سابور والذي يحتفظ به المتحف الإقليمي للآثار ببطليوس تمكنا من وضع إيجاد حلول لهاتين الإشكاليتين. فشاهد قبره يتكون من لوحة من الرخام طولها ٤٢سم، وعرضها ٣٥سم عثر عليها في سنة ١٣٠١هـ/١٨٨٣م جماعة من البنائين في بطليوس أثناء حفرهم أساس المنزل رقم ١٧ بشارع إبريل ملك دون إدواردو غرسيه فلورندو، ويتضمن النقش الكوفي النص التالي:

'بسم الله الرحمن الرحيم. هذا قبر سابور الحاجب رحمه الله، وتُوفي ليلة الخميس لعشر ليال خَلَوْن من شعبان من سنة ثلاث عشرة وأربع مائة، وكان يشهد أن لا إله إلا الله' [٢٦]

وبناءً على هذا النقش الكتابي تتبين لنا الحقائق التالية:

١- أن سابور قد توفي سنة ٤١٣هـ/١٠٢٢م تحديدًا.

٢- أن سابور تلقب بلقب الحاجب وهو اللقب الذي احتفظ به حتى وفاته وسُجل في شاهد قبره، وبهذا يتأكد لنا أن ابن الأثير قد أخطأ في ما أورده من أنه تلقب بالمنصور، والحقيقة أن المنصور هو لقب أبي محمد عبد الله بن محمد بن مسلمة بن الأفطس الذي كان يدبر له أمره، ثم استولى على ما كان بيده بعد وفاته كما ورد في المصادر الأندلسية.

ولا نستبعد وقوع ابن الأثير في هذا الخطأ لأنه مشرقي من جهة ولأنه أورد هذا النص في أحداث سنة ٤٣١هـ وهي سنة متأخرة عن السنة التي توفي

فيها سابور وهي سنة ٤١٣هـ بناءً على ما ورد في شاهد قبره مما يزيد من احتمال وقوع ابن الأثير في هذا اللبس والخطأ.

٣- وبالرجوع إلى النقش الكتابي وقياسًا إلى تاريخ وفاته المسجل فيه سنة ٤١٣هـ/ ١٠٢٢م فإننا يمكننا تحديد تاريخ استقلال سابور ببطليوس وغرب الأندلس إما بسنة ٤٠٠هـ/ ١٠٠٩م وهي السنة التي انتصر فيها البربر على المهدي محمد بن هشام في وقعتي قنتيش ووادي آره، وإما في سنة ٤٠٣هـ/١٠١٢م عندما اقتحم البربر أرباض قرطبة عنوة في ٢٦ شوال منها /٩ مايو ١٠١٣م، وأعملوا السيف في رقاب خصومهم، ففي هذه السنة قسم سليمان المستعين بعض كور الأندلس بين رؤساء القبائل البربرية في جيشه. ونميل إلى الأخذ بتاريخ سنة ٤٠٣هـ الذي استقرت فيه أوضاع البربر في الجنوب والوسط الأندلسي كبداية لحكم سابور واستقلاله ببطليوس، ولعل ذلك أتاح الفرصة لسابور أن يستقل بدوره بمعظم بلاد الغرب في تلك السنة الفاصلة التي تحدد بداية الفتنة، وهو ما يتفق مع ما ذكره ابن عذارى في قوله 'فلما وقعت الفتنة وتفرقت الجماعة وانشقت عصا الأمة انتزى سابور المذكور على ما كان بيده كما فعل غيره من الثوار'.[٢٧]

وعلى أساس هذا الافتراض المبني على كل من النقش الكتابي لشاهد قبر سابور، ونص ابن عذارى، يكون سابور قد حكم زهاء عشر سنوات بمساعدة وزيره ومشيره أبي محمد عبد الله بن الأفطس الذي غلب عليه على حد ما ذكره ابن عذارى كما صاهره؛ حيث تزوج محمد ولد هذا الوزير، من ابنة سابور،[٢٨] وظل يعاونه إلى أن هلك سابور في سنة ٤١٣هـ التي حددها النقش الكتابي وعندئذ استأثر عبد الله بن الأفطس بحكم بطليوس. وهذه السنة هي التي يبدأ بها حكم بني الأفطس لهذا الصقع الغربي من الأندلس.

٢ – نقش شاهد قبر عبيد الله بن محمد الماردي المقتول على يد المرابطين في الربض الشرقي لبطليوس سنة ٥٣٩هـ/١١٤٤م

ذكر ابن حيان في معرض حديثه عن سقوط إمارة بني الجليقي في بطليوس في يد عبد الرحمن الناصر سنة ٣١٧هـ/٩٢٩م، أنه كان يوجد بها عدة أرباض فهو يقول إن الناصر لدين الله أمر 'بالنبذ إليهم، والجد بهم فواضعهم القواد القتال، وأحالوا عليهم الأبطال، واحتمى مارقهم سويعة ثم انهزم عنها الأخابث مولين أدبارهم، فاقتحم الجند عليهم داخل أرباضهم وكدوهم...'.[٢٩]

غير أن نتائج حفريات جامعة مدريد التي قام بها الأثري فرناندو بالدث في الثمانينيات من القرن العشرين، والتي شاركتُ في بعض مراحلها، تؤكد أنه لم يثبت أثرياً وجود هذه الأرباض التي تحدث عنها ابن حيان. ولم يُكشف إلا عن وجود مبانٍ سكنية عند الحافة الشرقية لمرتفع الضرس الذي بنيت عليه مدينة بطليوس، وهذا الموقع الأثري المكتشف يعادل موضع الربض الشرقي للمدينة،[٣٠] والذي كان الإدريسي قد أشار إليه على زمنه بقوله 'وكان لها ربض كبير أكبر من المدينة في شرقيها فخلا بالفتن...'.[٣١]

والقضية المطروحة هنا تتمثل في تفسير عبارة الإدريسي الذي كان معاصرًا للمرابطين حيث إنه أتم كتابه نزهة المشتاق في سنة ٥٤٨هـ/١١٥٣م، والتي مفادها أن الربض الشرقي لبطليوس قد هجره سكانه وأصبح مركزًا للفتن والثورات في هذا العصر المرابطي، حيث يبرز تساؤلان هما: ما أسباب هجرة سكان هذا الربض الشرقي منه؟ ومتى تم ذلك تحديدًا؟

وفيما يتعلق بالأسباب التي دفعت سكان هذا الربض إلى الهجرة منه فقد ساعدتنا الحفريات الأثرية لبالدث على التوصل إليها، حيث تؤكد هذه الأعمال الأثرية حدوث هدم متعمد للسور المحيط بالربض الشرقي الذي كان قائمًا في عصر الطوائف، على يد المرابطين حرصًا منهم على إزالة أي وسيلة دفاعية في بطليوس يمكن أن تخدم مستقبلاً أي ثورة شعبية.[٣٢]

وقد ترتب على هدم المرابطين لسور الربض أن هجره سكانه فأصبح الربض خاليًا وغير مأهول بالسكان. ولتحديد تاريخ هدم المرابطين لسور الربض الشرقي يكون أمامنا احتمالان:

- الاحتمال الأول أن يكون هذا الحدث قد تم في أعقاب استيلاء المرابطين على مدينة بطليوس مباشرة في عام ٤٨٨هـ/١٠٩٤م.
- الاحتمال الثاني أن يكون هذا الهدم قد نفذ عند قيام أهل بطليوس بثورتهم ضد السلطات المرابطية استجابة لحركة المريدين التي تزعمها ابن قسي وسيدراي بن وزير سنة ٥٣٩هـ.

ويثبت هذا الاحتمال النقش الكتابي المحفور على شاهد قبر عثر عليه في الربض الشرقي وأشار إليه ليفي بروفنسال ووصفه بأنه عبارة عن لوح رخامي طوله ٤٦سم، وعرضه ٢٨سم وهو محفوظ حاليًا بمتحف الآثار الوطني بمدريد ونصه ما يلي:

'بسم الله الرحمن الرحيم، هذا قبر الشهيد المقتول ظلماً، رحمه الله، عبيد الله بن محمد بن أحمد الماردي – ابن المقتول – قتله الملثمون يوم خروجهم وذلك يوم الأحد يوم تسعة وعشرين من رمضان المعظم عام تسعة وثلاثين وخمسمائة'.

ومن ذلك يتبين لنا:

١– أن الربض الذي عثر فيه على شاهد القبر هذا لم يكن جبانة كما اعتقد البعض عقب اكتشاف النقش المكتوب على شاهد القبر، وإنما كان رباطًا خصصه أهل بطليوس لقتال المرابطين الذين كانوا في اعتقاد أهل الأندلس بوجه عام وغرب الأندلس الذي اندلعت منه الثورة عليهم بوجه خاص كفرة، مجسمين، بدليل إطلاق لقب الشهيد على القتيل عبيد الله بن محمد الماردي صاحب القبر، الذي سجله كاتب النقش عليه، فكل القتلى من الثوار على المرابطين هم شهداء والثورة على المرابطين تعد في معتقداتهم استشهادًا.[٣٣]

٢– ومن خلال هذا النقش الذي يحدد تاريخ وفاة عبيد الله الماردي بسنة ٥٣٩هـ، في هذا الربض الشرقي، يتبين لنا أن هدم المرابطين للسور المحيط بالربض إنما قد تم قبل عام ٥٣٩هـ سنة وفاة الشهيد بفترة، ولذا فنحن نرجح الاحتمال الأول من أن السور قد هدمه المرابطون في أعقاب استيلائهم على بطليوس مباشرة سنة ٤٨٨هـ.

وقد أدى هدم السور إلى هجرة سكان الربض منه فخلا ولذلك أصبح مؤهلاً وعلى مدى نحو أربعين عامًا، ليصبح مكانًا شاغرًا من الأهالي صالحًا للثورة وانطلق منه الثوار ضد المرابطين، بحيث امتلأ بالمجاهدين الذين قتلوا على يد المرابطين فيه أمثال عبيد الله الماردي المقتول سنة ٥٣٩هـ، ووالده من قبله.

وبهذا يكون هذا النقش المحفور على شاهد قبر المتوفى عبيد الله الماردي سنة ٥٣٩هـ قد ساعد في تحديدنا لأسباب هجرة سكان الربض الشرقي منه والفترة الزمنية التي تم فيها ذلك.

٣ – نقش شاهد قبر الشيخ الفقيه أبي القاسم خلف بن حسن بن فرحون البكري

سقطت بطليوس في أيدي الموحدين في حدود عام ٥٤٥هـ/١١٥٠م أي في عهد الخليفة عبد المؤمن بن علي الذي عزم على الخروج في ١٠ ربيع الأول عام ٥٥٨هـ/١٩ فبراير ١١٦٣م بنية الجواز إلى الأندلس للقيام بغزوة أندلسية كبيرة فنزل برباط الفتح، ثم استدعى الحاضرين ليستطلع آراءهم في الخطوات العسكرية القادمة، وكان من بين الحاضرين أبو محمد سيدراي بن وزير، الذي أوضح له الظروف السيئة التي تمر بها الأندلس، حيث كانت دولة البرتغال الناشئة في ظل حكم ألفونسو هنريكيز لا تتوقف عن توجيه الضربات إلى الجزء الغربي من الأندلس بلا هوادة، ولذا فقد اقترح ابن وزير على عبد المؤمن بن علي، أن يوجه جيوشه إلى وجهات أربع تكون أولها إلى البرتغال ثم إلى ليون وبعدها إلى طليطلة فبرشلونة.[٣٤]

ويتضح من ذلك أن مملكة البرتغال كانت أكثر هذه الممالك خطرًا على الأندلس في تلك الآونة، وقد تعرضت مدن الغرب الأندلسي لضربات متلاحقة من البرتغاليين حتى أن ألفونسو هنريكيز لم يتورع عن الاستعانة بحملة صليبية من الإنجليز، والألمان، والفلمنك، كانت في طريقها إلى المشرق لإحكام الحصار حول مدينة الأشبونة في أواخر سنة ٥٤١هـ/١١٤٧م التي سقطت بالفعل في جمادى الأولى من عام ٥٤٢هـ/٢١ أكتوبر سنة ١١٤٧م.

ولم يكتف ألفونسو هنريكيز بهذا الفتح العظيم فقد تمكن كذلك من الاستيلاء على مدينة شنترين Santarem والمناطق المحيطة بها، ومن بعدها استولى على قصر أبي دانس Alcazar del Sal في سنة ٥٥٥هـ/١١٦٠م ولم تأت سنة ٥٥٧هـ/١١٦٢م حتى كان نصارى شنترين قد تمكنوا من غزو مدينة باجة Beja والاستيلاء عليها، ثم رحلوا عنها بعد أربعة شهور بعد أن خربوها وهدموا أسوارها وعاثوا فيها فسادًا.[٣٥]

وقد تعرضت بطليوس حاضرة إقليم الغرب وقاعدته العسكرية الأولى والتي كانت بمثابة منتهى أمل ملك البرتغال لهجوم البرتغاليين الذين استولوا عليها استيلاء مؤقتًا؛ فقد تمكن الموحدون من استردادها بعد ذلك مع بعض مدن الأندلس الغربية حيث يقول ابن أبي زرع في أحداث سنة ٥٥٦هـ/١١٦٠م، 'وفي هذه السنة ملك الموحدون بطليوس، وباجة، ويابرة وحصن القصر فولى عليها عبد المؤمن، محمد بن علي الحاج'.[٣٦]

وهنا نطرح سؤالين:

- أولهما: في أي شهر وفي أي عام تمكن البرتغاليون من الاستيلاء على مدينة بطليوس ضمن ما استولوا عليه من مدن غرب الأندلس؟
- ثانيهما: في أي شهر من عام ٥٥٦هـظ١١٦٠م تمكن الموحدون من استرداد بطليوس؟ حيث أن المصادر العربية والأجنبية قد صمتت تمامًا عن تحديد توقيت وزمان احتلال البرتغاليين للمدينة؛ اللهم إلا ما ذكره ابن أبي زرع في النص السابق.

غير أننا قد تمكنا من الإجابة على هذين السؤالين استنادًا إلى النقش الكتابي المسجل على شاهد قبر الفقيه أبي القاسم خلف الذي استشهد بشرقي جامع بطليوس على أيدي البرتغاليين عندما فاجأوا المدينة بالهجوم الغادر عليها. وشاهد القبر لا يعدو لوحة رخامية طولها ٥١سم، وعرضها ٣٢سم عثر عليها في مدينة بطليوس في عام ١٨٧٧م؛ وهذا الشاهد محفوظ في متحف الآثار الوطني بمدريد. ونطالع فيه النص التالي:

'بسملة .... تصلية .... كل من عليها فان، ويبقى وجه ربك ذو الجلال والإكرام. هذا قبر الشيخ الفقيه أبي القاسم خلف بن حسن بن فرحون البكري نور الله ضريحه وقدس روحه. استشهد بشرقي جامع بطليوس حين غدر العدو لها في صبيحة يوم الخميس أول يوم من ربيع الآخر عام ستة وخمسين وخمسمائة'.[٣٧]

ومن خلال هذا النقش يتبين لنا أن بطليوس قد سقطت في أيدي البرتغاليين في أول يوم من شهر ربيع الآخر من سنة ٥٥٦هـ ولو افترضنا حتى أن الموحدين قد استردوها في آخر شهر من أشهر ٥٥٦هـ وهو ذي الحجة فيكون مكوث البرتغاليين بالمدينة لم يستغرق سوى تسعة أشهر فقط.

وبهذا يكون شاهد قبر الفقيه بن فرحون البكري قد ساعدنا على تحديد تواريخ ومسارات للأحداث التي مرت بها مدينة بطليوس أثناء هذه الفترة المضطربة خلال الصراع الموحدي البرتغالي على غرب الأندلس.

ثانيًا: النقوش الكتابية في مدينة ماردة

عرفت مدينة ماردة كما سبق أن أشرنا بأنها كانت موطنًا للبربر، والمولدين، والمستعربين وذلك منذ بداية الوجود الإسلامي في الأندلس. وقد اندلعت بها الكثير من الثورات في العصر الأموي نقمة من سكانها على العرب الحاكمين الذين يرجعون بأصولهم إلى بني أمية. وقد أشرنا إلى بعض زعماء هذه الثورات في بداية البحث ومن بينهم الثائر محمود بن عبد الجبار المصمودي البربري الذي تحالف مع سليمان بن مرتين المولد، الملقب بقعنب، وقد بدآ ثورتهما في سنة ٢١٣هـ/٨٢٨م، واستمرت هذه الثورة في عام ٢١٤هـ/٨٢٩م وحاول الأمير عبد الرحمن الأوسط في هذا العام اقتحام مدينة ماردة لوضع حد لثورة أهلها بلا جدوى فعاود محاصرتها في العام التالي ٢١٥هـ/٨٣٠م وفشل أيضًا، واستمر الوضع على هذا النحو حتى فر الثائران محمود المصمودي وحليفه سليمان بن مرتين من المدينة في عام ٢١٩هـ/٨٣٤م إلى ليون، وعندئذ سير الأمير عبد الرحمن الأوسط جيشًا قويًا نجح في اقتحام ماردة في عام ٢٢٠هـ/٨٣٥م.

غير أن الثورات بماردة لم تلبث أن تجددت مرة أخرى في سنة ٢٥٤هـ/٨٦٨م زمن الأمير محمد عندما ثار عبد الرحمن بن مروان الجليقي على الإمارة الأموية مؤسسًا إمارة في بطليوس شملت كل مدن غرب الأندلس استقلت عن قرطبة حاضرة الأندلس حتى تمكن عبد الرحمن الناصر من إخضاعها سنة ٣١٨هـ. وربما لتعدد هذه الثورات، فقد أخطأ المؤرخ الإسباني خوليان ألفارث فيلار عندما ذكر أن الذي بنى قصبة ماردة إنما هو عبد الرحمن الناصر عند تمكنه من القضاء على دولة بني عبد الرحمن الجليقي في غرب الأندلس في سنة ٣١٨هـ.[٣٨]

غير أنه بالرجوع إلى النقش الكتابي المسجل على اللوح الرخامي التذكاري الذي كان موضوعًا عند مدخل قصبة ماردة، والمحفوظ حاليًا بمتحف[٣٩] هذه المدينة، يتبين لنا أن هذه اللوحة التذكارية التي يبلغ طولها ١,٦١ متر، وعرضها ٠,٦٠ سم تتضمن نقشًا من خمسة أسطر من الكتابة الكوفية نشرها أمادور دي لوس ريوس Amador De Los Rios في سنة ١٨٨٣م ونطالع فيها النص التالي:

'بسم الله الرحمن الرحيم، بركة من الله وعظمة لأهل طاعة الله، أمر ببنيان هذا الحصن، وأعاده معقلاً لأهل الطاعة الأمير عبد الرحمن بن الحكم أعزه الله، على يدي عامله عبد الله بن كليب بن ثعلبة وجيفار بن مكسر، مولاه صاحب البنيان في شهر ربيع الآخر سنة عشرين ومائتين'.[٤٠]

وبالإضافة إلى هذه اللوحة الرخامية التذكارية يتحدث ليفي بروفنسال عن لوحة أخرى من الرخام أيضًا طولها ٠,٩٣ سم، وعرضها ٠,٤٠ سم عثر عليها في عام ١٩٠٢م في قصبة ماردة، وتشتمل على سبعة أسطر

بخط كوفي كبير قرأها كوديرا وقام بنشرها مؤكدًا أنها نص يؤكد ما ورد في النقش الكتابي الأول من أن عبد الرحمن الأوسط بن الحكم الربضي هو الذي أمر ببناء هذا الحصن والقصبة بماردة والنص كما نشره كوديرا كالآتي:

'بسم الله الرحمن الرحيم، بركة من الله وعصمة لأهل طاعة الله، أمر ببنيان هذا الحصن وإنجاده معقلاً لأهل الطاعة، الأمير عبد الرحمن بن الحكم، أكرمه الله على يدي عامله عبد الله بن كليب بن ثعلبة وخطاب بن ذرى وشعيب بن موسى، صاحبي بنيان ربع هذا الحصن....'،[٤١] وقد صحح ليفي بروفنسال الأخطاء الواردة في قراءة كوديرا لاسيما كلمة أنجاده وصحتها اتخاذه.

ويعتقد ليفي بروفنسال أن هذه اللوحة الثانية لا تخص قصبة ماردة ولكنها تخص بناء آخر كان ملحقًا بها لأنه لم يعهد في الأبنية الأندلسية، لاسيما الحصون وضع لوحتين في آن واحد، لاسيما وأن كلمة ربع الواردة في هذا النقش مرادفة لكلمة ربض التي كانت تذكر عادة كملحق للقلعة أو القصبة في الأندلس، وكان الربض يخصص لإقامة المدافعين المتزوجين والتجار الذين يزودون القصبة بالأقوات والمؤن.[٤٢]

ومن ذلك يتبين لنا أن النقشين الكتابيين المحفورين في اللوحة الرخامية بقصبة ماردة قد حسما شخصية باني القصبة بأنه عبد الرحمن الأوسط بن الحكم وليس عبد الرحمن الناصر كما ذكر المؤرخ الإسباني خوليان ألفارز فيلار.

ثالثًا: النقوش الكتابية في مدينة قاصرش

عرفت قاصرش زمن الرومان بأنها كانت دائمًا مدينة رومانية حصينة Colonia Norba Caesarina، وهي تقع على سفح مرتفع خفيف الانحدار يشكل جزءًا من سلسلة ربوات تمتد من شرق إسبانيا إلى غربها، وهي على بعد ٢٢ كم من نهر تاجة. وقد أكد الإدريسي على أهميتها العسكرية في زمنه أي في عصر المرابطين، غير أن أهميتها الإستراتيجية قد ازدادت في العصر الموحدي، إذ كانت ثغرًا أماميًا وقاعدة لمراقبة الوادي الأوسط من نهر تاجة كما اعتبرت بمثابة الحصن المانع الذي يعترض القوات الليونية عند مرورها من نهر تاجة إلى نهر وادیانة.[٤٣]

وقد استغلت التحصينات الإسلامية، الأسس والصفوف السفلى من الأسوار الرومانية في هذه المدينة، فالسور الإسلامي قائم في جزء كبير منه على السور الروماني.[٤٤]

أما الآثار الباقية من قاصرش الإسلامية فتقتصر على بناء القلعة الأمامية التي يرجع تاريخها إلى بداية القرن السابع الهجري وفي ما تبقى من السور بأبراجه البرانية، والجب، والقصر. وفيما يتعلق بأسوار قاصرش الإسلامية فإن توريس بالباس Torres Balbas يرى أنها ترجع بلا شك إلى العصر الموحدى. وترجع أهم آثار الموحدين الحربية في أربع مدن بغرب الأندلس بخلاف مدينة إشبيلية Sevillia، هي قاصرش، وبطليوس، ورينة، ومنت مولين Monte Molin.[٤٥] وتختلف الأبراج والأسوار الإسلامية اختلافًا واضحًا عن الرومانية من حيث بنائها بالطابية، والملاط، والدبش الزاهي ذي اللون القرمزي.[٤٦]

ويعد الجانب الغربي من سور قاصرش أو ما يعرف بالستارة الغربية من السور هو أفضل ما وصل إلينا من الأسوار. ويوجد في هذا الجانب خمسة أبراج برانية بعضها مربع الشكل وبعضها مستطيل. ومن بين هذه الأبراج الخمسة برج تميز بأنه قد حفرت عليه ونقشت كلمة بخاكو، وهذا البرج شديد الضخامة وتبلغ أبعاده ما يلي ١٠,٨٣م × ١٠,٢٠م و٢٥ مترًا في الارتفاع.

وقد تسبب هذا النقش الكتابي (بوخاكو) في إحداث جدل علمي بين عالمين إسبانيين كبيرين تصديا لتأريخ الأحداث والوقائع التاريخية لقاصرش في العصر الإسلامي.

فقد افترض الأثري توريس بالباس بسبب وجود كلمة بوخاكو المنقوشة على هذا البرج البراني لقاصرش، أنها تحريف لاسم أبي يعقوب يوسف الخليفة الموحدي وأن أسوار قاصرش على هذا النحو من إنشاء هذا الخليفة.[٤٧]

أما المؤرخ مانويل تورون ألبران Albarran فهو يرى أن كلمة بوخاكو المنقوشة على أحد الأبراج البرانية الخمسة في قاصرش إنما هي كلمة ترجع إلى أصول بشكنسية وتعني البجعة، وأنها ربما تكون قد نقشت على البرج في عصور تالية على العصر الإسلامي، وبهذا طبقًا لرأي المؤرخ الإسباني ألبران فإن البرج يحمل اسم برج البجع وليس اسم الخليفة الموحدي.[٤٨]

ويدلل ألبران على رأيه بأنه عندما تهدم القصر الإسلامي في قاصرش في أواخر القرن التاسع الهجري/ الخامس عشر الميلادي أقيم على أنقاضه قصر آخر عرف باسم دار البجعات.[٤٩]

ونميل إلى الأخذ برأي توريس بالباس إذ إن كلمة بوخاكو المنقوشة على أحد الأبراج البرانية قد تكون بالفعل تحريف قام به البناء الأندلسي تلقائيًا وهو يسجل اسم أبي يعقوب على البرج، فنحن نعلم أن الأندلسيين كانوا يتحدثون منذ عهود سبقت العصر الموحدي بكثير بلهجة تختلف عن العربية الفصحى حيث اختلطت بالمحلية (وهي الرومانسية)، وأن حرف الخاء مستخدم في كل من اللهجة المحلية وفي اللغة العربية حتى أن المسلمين قد أدخلوه إلى اللغة الأسبانية الحديثة، وعلى هذا النحو قد يكون (بوخاكو) هو تحريف من (بوجاكوب) المحرفة من (أبو يعقوب).

ويؤكد ميلنا إلى الأخذ بهذا الرأي أن الأبراج البرانية والأسوار في قاصرش تتمتع بالمواصفات التي تميزت بها الأبراج والعمائر الحربية الموحدية؛ مما يؤكد بناءها في هذا العصر الموحدي، ومما سبق يتبين لنا أن النقش بوخاكو، قد ساهم في تحديد زمن بناء هذه الأبراج الموحدية ونسبتها إلى أبي يعقوب يوسف الخليفة الموحدي.

رابعًا: النقوش الكتابية في مدينة ترجالة

شاهد قبر عثر عليه في حصن مدينة ترجالة

منذ أن خضعت ترجالة لعبد الرحمن الناصر قبل سنوات من خضوع مدينة بطليوس له في سنة ٣١٨هـ[٥٠] أصبح اسمها يتردد كأحد الحصون الأمامية لبطليوس لاسيما في عصري المرابطين والموحدين، ولذلك فقد كانت هدفًا للفارس البرتغالي جراندة الذي تمكن من الاستيلاء عليها سنة ٥٦٠هـ/١١٦٤م كما استولى على قاصرش في سنة ٥٦١هـ/١١٦٥م وعلى منتانجش وجلمانية Jurumenha في نفس العام، ليصبح الطريق مفتوحًا أمامه إلى بطليوس بعد ذلك وهي التي كانت منتهى آمال البرتغاليين.

وقد تمكن الموحدون من استرداد ترجالة بعد عقدين من الزمان من أيدي هذا الفارس البرتغالي المغامر.

وجاء سقوط ترجالة وضياعها نهائيًّا من أيدي المسلمين على أيدي فرناندو الثالث ملك ليون في عام ٦٣٠هـ/١٢٣٢م.

ولا تزال أجزاء كثيرة من حصن ترجالة الإسلامي قائمة، أما الأسوار الإسلامية فلم يتبق منها إلا القليل. وفيما يتعلق بسور المدينة فقد كانت تنفتح فيه سبعة أبواب لم يتبق منها سوى أربعة مشوهة.[٥١]

ويتميز الباب الرئيسي المؤدي إلى الفناء المركز بوجود تجويف لإسقاط مشط حديدي.

ونشهد في الطرف الشرقي من السور، بقايا بناء كبير كان يتوسط فناءه جبّان، تنحدر مياه المطر على سطحيهما ليتلقاها الجبّان من خلال ست فتحات في القبو.

وقد تم اكتشاف قطع فخارية من تلك الخاصة بفوهات الآبار مزججة باللون الأخضر إسلامية الزخرفة والطراز في هذا الموضع.[٥٢]

وقد اختلف المؤرخون والأثريون حول تاريخ بناء هذين الجبين والحصن، خاصة وأن ظاهرة استخدام الأمشاط الحديدية في الأبواب لا تساعدنا على تحديد زمن البناء، فقد عرفت في الأندلس على مدى عصور إسلامية مختلفة مثل باب شقرة الحديدي، وباب المردوم بطليطلة، وباب قصبة بطليوس وظلت الأبواب ذات الأمشاط تستخدم في المغرب في القرن العاشر الهجري الموافق السادس عشر الميلادي، وفى حين يُرجِع كل من خوليان ألفار وخوسيه ميليدا هذين الجبين والحصن إلى القرن السابع الهجري[٥٣]/الثالث عشر الميلادي، يرى مالدونادو أن تاريخ البئرين والحصن إنما يرجع إلى القرن الخامس الهجري/ الحادي عشر الميلادي وقد تدعّم رأي مالدونادو بعد العثور على شاهد قبر رخامي في حصن ترجالة منذ سنوات حفر عليه نقش كتابي بالخط الكوفي الغليظ محتواه:

'بسم الله الرحمن الرحيم، توفى محمد بن سليمان رحمه الله ... وحصله الجنة وذلك يوم الخميس سنة ثمان وأربعمائة'. [٥٤]

وبهذا تكون كفة رأي مالدونادو هي الأرجح حيث إن وفاة محمد بن سليمان صاحب شاهد القبر في سنة ٤٠٨هـ/١٠١٧م تؤكد أن الجبين والحصن قد بنيا قبل القرن السابع الهجري وإن كان الأثري فرناندث بويرتاس يرى أن تأريخ شاهد القبر بسنة ٤٠٨هـ لا يعني بالضرورة أن الآثار الإسلامية في ترجالة قد بنيت في بدايات القرن الخامس الهجري تحديدًا إذ إن هناك في رأيه الذي أوافق عليه إمكانية لبناء الحصن قبل القرن الخامس بفترة يحددها مالدونادو ببدايات القرن الرابع الهجري[٥٥] (عصر الخلافة).

خامسًا: النقوش الكتابية في مدينة رينة

اهتم الموحدون ببناء سور مدينة رينة الذي كان يلتف تمامًا حول قصبتها ورغم عظمة هذا السور إلا أنه لم يصل إلى عظمة سور قصبة بطليوس. وكان هذا السور يكفي لضم عدد محدود من المساكن.

وقد عثر في قصبة رينة على شاهد قبر في حقل تابع للمدينة يزدان بعقد بداخله النقش الكتابي التالي:

'بسم الله الرحمن الرحيم، هذا قبر الوزير أبي اسحق إبراهيم بن خليل، تُوفي رحمه الله في يوم الجمعة السادس عشر من جمادى الأولى سنة سبع وأربعين وخمسمائة'[٥٦].

ويؤكد تاريخ هذا النقش الكتابي نسبة بناء سور قصبة رينة إلى الموحدين.

أما الإفريز الكتابي المحيط بالعقد الذي يقع أعلى الشاهد فنطالع فيه ما يلي:

'بسم الله الرحمن الرحيم، وصلى الله على محمد، يأيها الناس، إن وعد الله حق فلا تغرنكم الحياة الدنيا، ولا يغرنكم بالله الغرور. هذا قبر إبراهيم بن خليل رحمة الله عليه، ونضر وجهه وأنفعه بالديانة والإسلام والشهادة أن لا إله إلا الله'.[٥٧]

ومن جهة أخرى فقد أطلعنا هذان النقشان الكتابيان على شخصية أحد الوزراء في هذه الحقبة الزمنية، وهو أبو إسحق إبراهيم بن خليل الذي دفن في قصبة هذه المدينة، ومن الجدير بالذكر أن اسم هذا الوزير لم يرد في أي من المصادر العربية المكتوبة المتوفرة والمتاحة، وبهذا يكون النقش الكتابي في كثير من الأحيان مصدرًا يمد الباحث بما لا يجده في بطون المصادر المكتوبة.

الهوامش

١ السيد عبد العزيز سالم، التاريخ والمؤرخون العرب، (الإسكندرية، ٢٠٠٦)، ١٥١.

٢ زكي محمد حسن، دراسات في مناهج البحث في التاريخ الإسلامي، مجلة كلية الآداب، جامعة القاهرة، مجلد ١٢، جـ١، مايو ،(١٩٥٠)، ١٦٢ وما يليها؛ سيدة كاشف، مصادر التاريخ الإسلامي ومناهج البحث، (القاهرة، ١٩٦٠)، ٦٣ وما يليها.

٣ عبد العزيز سالم، التاريخ والمؤرخون العرب، ١٥٢ حيث يذكر الدكتور سالم أن صلاح الدين عندما قضى على الدولة الفاطمية في مصر وعلى مذهبها الشيعي الإسماعيلي قد سجل ذلك على الكثير من النقوش، ومن الناحية الاقتصادية كان سلاطين المماليك يسجلون مراسيمهم الخاصة بإلغاء بعض الضرائب أو تخفيف بعض المكوس على جدران الآثار؛ السيد عبد العزيز سالم، طرابلس الشام في التاريخ الإسلامي، (الإسكندرية ١٩٦٧)، ٤٧٧.

٤ عن مؤلفات هؤلاء المستشرقين، ارجع إلى: عبد العزيز سالم، التاريخ والمؤرخون العرب، ١٥٣ وما يليها.

٥ لمزيد من التفاصيل عن تمصير بطليوس وإعادة بنائها على يد الثائر عبد الرحمن بن مروان الجليقي على أنقاض بطليوس القديمة، زمن الأمير محمد ورأي المصادر العربية في ذلك (البكري، في كتابه جغرافية الأندلس وابن حيان في كتابه المقتبس وابن عذارى في البيان والحميري في الروض المعطار)، ارجع إلى: سحر السيد عبد العزيز سالم، تاريخ بطليوس الإسلامية وغرب الأندلس في العصر الإسلامي، (الإسكندرية، بدون تاريخ)، ٢٨٢ وما يليها ؛ وعن اسم بطليوس واشتقاقاته والأصل القديم للمدينة ارجع إلى نفس المرجع، ١٥٠ وما يليها.

٦ سابور العامري: عرف بأنه كان من الفتيان العامرية فهو أحد صبيان فائق فتى الحكم المستنصر بالله، وعبد من عبيده وقد ألحق النسب العامري به عندما استبد المنصور محمد بن أبي عامر بالبلاد. وقد انتزى ببطليوس والغرب الأندلسي وكان لقبه مثار خلاف بين المؤرخين. ويرى بعض المؤرخين أنه كان فارسي الأصل (محمد عبد الله عنان، دول الطوائف، (القاهرة، ١٩٦٠)، ٨٠ – ٨١ حيث رجع إلى النسخة الخطية من الحلة السيراء لابن الآبار فقرأ سابور العامري على أنها الفارسي وكذلك المؤرخ الإسباني مارتينث إى مارتينث Martinez y Martinez, *Historia del Renio de Badajoz*, (Badajoz, 1904), 83. ولكننا نرفض نسبة سابور إلى الفرس حيث لم يرد لها ذكر في المصادر العربية، ونعلل انتشار هذا الرأي بين هذا الفريق من المؤرخين الحديثين لارتباط اسم سابور بسابور ذي الأكتاف وهو اسم فارسي. (لمزيد من التفاصيل ارجع إلى سحر سالم، تاريخ بطليوس الإسلامية، جـ١، ص ٣٤٩ وما يليها.

وعن بني الأفطس ملوك بطليوس في عصر الطوائف فإن مؤسس دولتهم هو عبدالله بن مسلمة، الذي يرجع بأصله إلى بربر مكناسه البلديين أي الذين استقرت أسراتهم بالأندلس منذ فترة طويلة، انظر: ابن الأثير، الكامل في التاريخ، (بيروت، ١٩٦٥) جـ٩، ٢٨٨. وقد استولى على أمور الدولة في بطليوس بعد وفاة سابور العامري وتلقب بالملك المنصور. ولمزيد من التفاصيل عنه وعن بني الأفطس وأهم ملوكهم: انظر سحر سالم، تاريخ بطليوس الإسلامية، جـ١، ٣٦٨ وما يليها.

٧ ثار ابن قسي على المرابطين في غرب الأندلس، في أواخر عهدهم، وكانت مدينة شلب (بالبرتغال حاليًا) مركزه الأول الذي اندلعت منه ثورته. ونجح ابن قسى في السيطرة على مدن الغرب الأندلسي الكبرى مثل ميرتلة (بالبرتغال) سنة ٥٣٩هـ، وبطليوس، ولكن بطليوس ما لبثت أن تبعت أبا محمد سيدراي بن وزير، صديق ابن قسي الذي سرعان ما انقلب عليه، وولى ابن وزير، خاله عبد الله بن الصميل على بطليوس. ومع عبور الموحدين إلى الأندلس بذل كل من ابن وزير وخاله ابن الصميل الطاعة للحكام الجدد، فدخلت قوات الموحدين إلى بطليوس في سنة ٥٤١هـ. وبعد فترة يسيرة اندلعت ثورة في هذه المدينة قادها محمد بن علي بن الحجام الذي تمكن من الصعود إلى حكم بطليوس في الفترة ما بين المحرم ٥٤١هـ /١١٤٧م وما بعد شعبان من نفس السنة.

وقد سك ابن الحجام دنانير في بطليوس في سنة ٥٤٣هـ/١١٤٨ – ١١٤٩م حملت اسمه واحتفظت تمامًا بطابع العملات المرابطية ولكنه ما لبث أن عاد إلى طاعة الموحدين. ولمزيد من التفاصيل، انظر: ابن الأبار، الحلة السيراء، تحقيق د. حسين مؤنس، (القاهرة،)١٩٦٣، جـ٢، ١٩٧ وما يليها؛ وعن كتاب ابن قسي 'خلع النعلين'، انظر:ابن الخطيب، أعمال الأعلام، تحقيق ليفي بروفنسال، (بيروت، ١٩٥٦) ٢٤٩ وما يليها؛ محمد عبد الله عنان، عصر المرابطين، (القاهرة ١٩٦٤م)، ٣٠٧؛

Levi Provençal, *Inscriptions arabes d'Espagne*, Tome I, (Leyde, 1931), 56, 57;

وعن ابن الحجام، انظر:

F. Codera, *Decadencia y desapariciòn de los Almoravides en España*, (Zaragoza, 1899), 160-161.

سحر سالم، تاريخ بطليوس الإسلامية، جـ٢، ١٨٠ وما يليها.

٨ F.J. Simonet, *Historia de los Mozárabes*, (Madrid, 1897-1903), 307.

٩ وعن مقاومة أهل ماردة لموسى بن نصير، انظر: ابن عذارى، البيان المغرب في أخبار الأندلس والمغرب، (بيروت)، جـ٢، ١٤، ١٥. وعن مركز ماردة الأسقفي والديني ثم انتقاله إلى بطليوس، انظر:

Simonet, *Historia de los Mozárabes*, 307-316,

Isidro de la Cagigas, *Los Mozárabes*, Tome I, 164.

سحر سالم، التاريخ الحضاري لبطليوس وغرب الأندلس في العصر الإسلامي، (رسالة دكتوراة، ١٩٨٧)، جـ٢، ٦٩٤ وما يليها.

١٠ سحر سالم، التاريخ الحضاري لبطليوس وغرب الأندلس في العصر الإسلامي، ٦٩٤.

١١ محمد بن محمد الإدريسي، صفة المغرب، وأرض السودان ومصر والأندلس، مأخوذة من كتاب نزهة المشتاق، (ليدن، ١٩٦٨)، ١٨٦.

١٢ Torres Balbas, 'Caceres y su cerca Almohade, obra dispersa', *Al Andalus* 4, (1984), 123, 443 - 472.

سحر سالم، التاريخ الحضاري لبطليوس وغرب الأندلس في العصر الإسلامي، جـ٢، ٧٠٣.

١٣ ابن حيان، المقتبس من أنباء أهل الأندلس، تحقيق بدرو شالميتا وكورينطي ومحمود صبح، (مدريد، ١٩٧٩)، ٢٥٥، ٣١٥ – سحر سالم، التاريخ الحضاري لبطليوس وغرب الأندلس في العصر الإسلامي ،جـ٢، ٧٢٤؛ سحر سالم، تاريخ بطليوس الإسلامية، جـ١، ٢١٧.

١٤ سحر سالم، تاريخ بطليوس الإسلامية، جـ١، ٢١٧.

١٥ ابن صاحب الصلاة، تاريخ المن بالإمامة على المستضعفين بأن جعلهم الله أئمة وجعلهم الوارثين، تحقيق عبد الهادي التازي، (بيروت ١٩٦٤)، ٣٧٣–٣٧٤.

David Lopez, 'O Cid portugués: Ceraldo Sempavor', *Revista Portuguese De historia* I, (1947), 92 - 109.

سحر سالم، التاريخ الحضاري لبطليوس وغرب الأندلس في العصر الإسلامي، جـ٢، ٧٢٥.

١٦ سحر سالم، التاريخ الحضاري لبطليوس وغرب الأندلس في العصر الإسلامي، جـ٢، ٧٢٥، ٧٢٦.

١٧ Manuel Torron Albarran, *el Solar De los Aftasies*, (Badajoz, 1953), 15.

سحر سالم، تاريخ بطليوس الإسلامية، جـ١، ٢١٨.

١٨ Torres Balbas, *Ciudades Hispano musulmanas*, (Madrid, sin fecha), Toma 2, 488.

José Roman Melida, *Catalogo Monumental de España: Provincia De Badajoz*, (Madrid, 1926), Toma II, 83.

١٩ Torres Balbas, *Ciudades Hispano musulmanas*, 488.

سحر سالم، التاريخ الحضاري لبطليوس وغرب الأندلس في العصر الإسلامي، جـ٢، ٧٢٠.

٢٠ كان رئيس الصقالبة في بلاط الحكم المستنصر والخادم الخاص له ويعرف بفائق النظامي وكان يتولى البرُد والطراز وانتهى أمره بأن نفاه المنصور بن أبي عامر إلى الجزائر الشرقية حيث مات لأنه كان ضالعًا في مؤامرة لتنصيب المغيرة بن الناصر على الخلافة الأموية بعد الحكم المستنصر بدلاً من ولده هشام المؤيد. انظر: ابن عذارى، البيان، جـ٢، ٢٦٣؛ سحر سالم، تاريخ بطليوس الإسلامية، جـ١، ٣٤٩.

٢١ Martinez y Martinez, *Historia del Renio de Badajoz*, 84.

٢٢ ابن عذارى، البيان، جـ٣، ٢٣٦.

٢٣ ابن عذارى، البيان، جـ٣، ٢٣٦.

٢٤ سحر سالم، تاريخ بطليوس الإسلامية، جـ١، ٢٦٣.

٢٥ ابن الأثير، الكامل في التاريخ، جـ٩، ٢٨٨.

٢٦ Martinez y Martinez, *Historia del Renio De Badajoz*, 84.

José Roman Melida, *Catalogo Monumental De Espana*, texto II, 73; Levi Provençal, *Inscriptions arabes d'Espagne*, 53.

٢٧ ابن عذارى، البيان، جـ٣، ٢٣٦؛ انظر كذلك ابن بسام الشنتريني، الذخيرة في محاسن أهل الجزيرة، تحقيق إحسان عباس، (بيروت، ١٩٧٩)، القسم الثاني، المجلد الثاني، ٦٤٠.

٢٨ ابن عذارى، البيان، جـ٣، ٢٣٧.

٢٩ ابن حيان، المقتبس، تحقيق شالميتا، ٢٤٦.

٣٠ Fernando Valdez, *Problématica arquéologica de un yacimiento andalusi*, (PhD. Diss., Universidad autonoma de Madrid, 1980) Toma I, 51-52.

ورغم عدم كشف هذه الحفائر إلا عن الربض الشرقي لبطليوس فإننا لا نشك فيما ذكره ابن حيان من وجود أرباض عديدة للمدينة لم يتم كشف النقاب عنها حتى الآن. وقد أكدت حفائر الأثري فالدث وجود مركز عمراني روماني قديم في سفح جبل الضرس أي في موقع الربض الشرقي ببطليوس، وهذه الآثار الرومانية تتمثل في بركة ضخمة وخزان للمياه. Valdez, *Problématica arquéologica de un yacimiento andalusi*, 163 - 167.

٣١ الإدريسي، صفة المغرب وأرض السودان، ١٨١.

32 Valdez, *Problématica arquéologica de un yacimiento andalusi*, 59 - 60.

إذ إنه لا معنى لهدم أسوار لم تفقد بعد وظيفتها وقيمتها العسكرية إلا لهذا السبب بدليل أن الموحدين سيقومون بترميم هذه الأسوار فيما بعد لقيمتها الإستراتيجية.

٣٣ Levi Provençal, *Inscriptions arabes d'Espagne*, 57; Valdez, *Problématica arquéologica de un yacimiento andalusi*, 53.

٣٤ ابن صاحب الصلاة، المن بالإمامة، ٢٢٠؛ ابن عذارى، البيان، القسم الثالث، تحقيق أويثي ميراندا، ٥٥، سحر سالم، تاريخ بطليوس الإسلامية، جـ٢، ١٩٠.

٣٥ انظر: حولية سقوط الأشبونة، تعليق د. محمود سعيد عمران، أحد أبحاث مؤتمر الغرب الإسلامي والغرب المسيحي خلال العصور الوسطى، (الرباط، ١٩٩٥) ١٤، ١٥؛ محمد النشار، تأسيس مملكة البرتغال، ٦٤. ويذكر ألفونسو العاشر في المدونة العامة الأولى لإسبانيا أن الملك ألفونسو هنريكيز انتزع من المسلمين مدينة شنترين، وشنترة، والأشبونة، ويابرة، والحنش ومواضع أخرى كانت قريبة من الأراضي المسيحية، وأنه أعاد تعمير هذه المدن التي كانت قد أخليت من سكانها منذ عهود مضت وأعاد تحصينها بأسوار منيعة لتحميها من ضربات المسلمين.

وهو في ذلك يقول:

'Este Rey Don Alfonsso, gano de moros a sacta Aren, Sintria, Vlixbona, Euora, Alanquer et muchos otros logares que fueron et son a por de la tierra et de Cristianismo ....'

Ramon-Menendez Pidal, (ed.), *Primera Cronica General de Espana*, (Madrid, 1977), 652.

٣٦ ابن أبي زرع، الأنيس المطرب بروض القرطاس في أخبار ملوك المغرب وتاريخ مدينة فاس، (١٩٢٦)، ١٣١.

٣٧ Levi-Provençal, *Inscriptions arabes d'Espagne*, Tome I, 59-60.

٣٨ Julian Alvarez Villar, *Extramadura*, (Madrid, 1979), 156.

٣٩ وهناك قالب منها محفوظ في المتحف الوطني للآثار بمدريد. وتعرف قصبة ماردة لدى العامة باسم الدير Conventual لأنها أصبحت بعد استيلاء الليونيين على المدينة في مايو (٦٢٦هـ/١٢٢٩م) مقرًا لفرسان سانتياجو.

٤٠ Radrigo Amador De los Rios y Villalta, *Inscripciones arabigas de España y Portugal*, (Madrid, 1883), 244.

٤١ Codera, 'Inscripcion Arabe del castillo de Merida', *Boletin de Real Academia de la Historia*, (Madrid, 1902), Toma XII, 138-142.

٤٢ Levi-Provençal, *Inscriptions arabes d'Espagne*, Tome I, 52.

٤٣ الإدريسي، صفة المغرب، ١٨٦.

Torres Balbas, *Al Andalus* VIII, 123; Georges Marçais, *L'architecture musulmane d'Occident*, (Paris, 1954), 224.

٤٤ Torres Balbas, *Al Andalus* VIII, 136.

Torres Balbas, *Ciudades hispano musulmanas*, 482.

٤٥ Torres Balbas, *Ciudades hispano musulmanas*, 481.

٤٦ كان استخدام الطابية في بناء الأسوار الموحدية هو السمة التقليدية في إسبانيا الإسلامية منذ قرون تسبق العصر الموحدي، فسور مدينة بطليوس الذي بناه عبد الرحمن الجليقي كان من الطوب والتراب tapial كذلك كانت أسوار طريف طبقاً لما ذكره الإدريسي (كانت من التراب والطابية، انظر الإدريسي، صفة المغرب، ١٧٦، ٢١٣).

٤٧ Torres Balbas, *Al Andalus* VIII,143.

٤٨ Albarran, *El solar de los Aftasies*, 553, 556.

٤٩ Torres Balbas, *Al Andalus* VIII, 143, 151, 153.

٥٠ ابن حيان، المقتبس، تحقيق شالميتا، ٢٥٥، ٣١٥.

Felix Hernandez, 'La Kura De Merida en el siglo', *Al Andalus* XXV, (1960), 36-62.

٥١ Basilio Pavon Maldonado, 'Arqueologia musulmana en Caceres', *Al Andalus* XXXII, (1967), 197.

٥٢ Basilio Pavon Maldonado, *Al Andalus* XXXII, 204.

٥٣ Julian Alvar, *El arte en Extremadura en el libro Extremadura*, (Madrid, 1979), 177, Melida, *Provincia de Badajoz*, 248.

٥٤ Codera, *Boletin de la Real academia de la historia XIV*, (1914), 117.

Levi-Provençal, I*nscriptions arabes d'Espagne*, Tome I, 61.

٥٥ Antonio Fernandez Puertas, 'Dos Lapidas hispano musulmanas, la del castillo de Trujillo y una guardada en el museo de Evora', *Univ. De Granada* XXII, Fasc I, (1973), 146.

٥٦ Melida, *Provincia de Badajoz*, Toma II, 82, 83.

٥٧ Melida, *Provincia de Badajoz*, Toma II, 83.